4 me Année, No. 165

Lundi - 31 - 8 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ م فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٦٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٥ — ٣١ أغسطس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة
١٤٠١ فلنتعصب ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
١٤٠٤ الزيارة المسروقة ... : الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى
١٤٠٨ أسبوع فى سيتانيا ... : الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
١٤١٠ لمحـــات ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام ...
١٤١٢ فن القصة فى الأدب المصرى الحديث ... : الأستاذ هلال أحمد شتا ...
١٤١٤ الخيال فى الأدبين العربى والانجليزى : الأستاذ فكرى أبو السعود ...
١٤١٦ دانتى أليجييرى والكوميدية الإلهية : الأستاذ د . خ ... ...
١٤١٩ توكيد النفى ... ... : الأستاذ أديب عباسى ... ...
١٤٢٣ لغة الأحكام والمرافعات : الأستاذ زكى عريبى ... ...
١٤٢٦ الحجاب فى الاسلام ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
١٤٢٨ أبو الطيب المتنبى ... ... : الأستاذ محمد محيى الدين عبد المجيد
١٤٣٠ علم المتنبى باللغة والأدب : الدكتور عبد الوهاب عزام ...
١٤٣٣ يا ضوء ! (قصيدة) : الأستاذ عبد الرحمن شكرى
١٤٣٤ مأساة فراق (قصيدة) : ... ...
١٤٣٤ الغصب الباسل « : عبد الرحيم محمود ... ...
١٤٣٤ الراعى الشيخ « : ترجمة أحمد فتحى مرسى ...
١٤٣٤ إلى باكية « : السيد شفيق سلوف ... ...
١٤٣٥ صراع مع الشيطان (قصة) : الأستاذ دريني خشبة ... ...
١٤٣٩ إحياء الموسوعات العربية العامة للخليفة والتاريخ ... : علاء الدين الحاني ... ...
١٤٤٠ المسألة الاستعمارية . من أخبار السفهاء فى مصر ... ... أوراق العظماء ... ...

فلنتعصب ....!

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

قال صاحب سر (م) باشا : جاءنى يوما صحفىٌّ إنجليزى من هؤلاء الكتاب المتعصبين الذين تطلقهم انجلترا كما تطلق مدافعها ؛ غير أن هذه للبارود والرصاص والقنابل ، وأولئك للكذب والتهم والمغالطات ؛ وهو أذنٌ وعينٌ ولسانٌ وقلم لجريدة انجليزية كبيرة معروفة بثقل وطأتها على الشرق والاسلام ؛ تصلح بافساد ، وتداوى الحمى بالطاعون ، وتعمل فى نهضة الشرقيين واستقلالهم ما يشبه قطع ثدى الأم وهو فى شفتى رضيعها المسكين

ودخل علىّ هذا الكاتب فى الساعة التى خرج فيها من غرفتى صاحب جريدة أسبوعية فى مدينتنا ؛ وكان قد نفخ الضفدع ليجعلها ثورا فحول صحيفته إلى جريدة يومية وهو لا يجد مادتها ولا يستطيع أسبابها ، إلا أنه كذأب الناس عندنا كان يحسب الكذب فى العمل سهلا مهلا [1] كالكذب فى القول ،

(١) هذا الاستعمال مما وضعناه نحن وليس فى اللغة ، وهو من باب الاتباع كقولهم : حسن بسن وشيطان ليطان الخ

فلم يتعاظم للأمر العظيم ، واقترض لعمله كل ألفاظ النجاح من اللغة ....

وظن عند نفسه أنه سيخوّف بجريدته الكبراء والأعيان والمياسير حتى يغلب على جميعهم ويشرك أصابعه مع أصابعهم فى استخراج ما يحتاج اليه من جيوبهم ، فلم تعش جريدته إلا أياما وأتلف ما جمع ، ورهن فيها داره التى لا علك غيرها . وعلم آخرا أن الذى يكذب فيسمى الخروف جملاً ، لا يُقبل منه أن يكذب على الكذب نفسه فيزعم أن الناقة هى التى نتجت هذا الخروف .....

ولما انقلبت هذه الجريدة يومية كان الباشا هو ملجأ الرجل ووزره ، وكان لكل يوم فى الجريدة أخبار من الباشا لا تقع فى الدنيا ولا تجمع من الحوادث ، ولكن تقع فى ذهن الكاتب ، وتجمع من صناديق الحروف ، حتى قال لى الباشا مرة : إن اسمى قد أصبح موظفاً فى هذه الجريدة لجمع الاشتراك ....

وتحرّى هذا الصحفى أن يستأذن يوماً على الباشا وفى مجلسه حشدٌ عظيم من السراة والأعيان والعمد ، وكان جمعهم لأمر ، فما هو إلا أن دخل الصحفى حتى ابتدره الباشا بهذا السؤال : يا أستاذ . ما هى تلغرافات أوربا عن الحوادث التى ستقع غداً . . . . ؟

فضجّ المجلس بالضحك وفقد المسكين بهذه النكتة أربعين ديناراً كان يؤمل أن يخرج بها ، وأعلن الباشا فى أظرف إعلان وأبلغه كذبَ الرجل ونفاقَه وإسفافَه وأنه من رجال الصحافة المدوّرة تدوير الرغيف . . .

* * *

قال : ونظرت إلى الصحفى الانجليزى نظرةً أكشفُ بها فاذا أولُ الفرق بينه وبين أمثاله عندنا ـ شعورُه أن بلاده قد ربته (للخارج) فهو عند نفسه كأنه انجليزى مرتين ؛ ويأتى من ذلك إحساسُه بعزة المالك وقوة المستعمِر فلا يكون حيث يكون إلا فى صراحة الأمر النافذ أو غموض الحيلة المبهمة ؛ ويستحكم بهذا وذاك طبعُه العمليُّ ، فهو بغريزته مُقاتل من مقاتلة الفكر يلتمس ميدانه بين القوى المتضاربة لا يبالى أن يكون فيه الموت ما دام فيه العمل ؛ وبهذا كله تراه نافذَ البصيرة قائماً على سواء الطريق ، لأن الانجليزىَّ الباطن فيه يوجِّه الانجليزىَّ الظاهر منه ويُسانِده ؛ وفى أعماق الاثنين تجد انجلترا وليس غير انجلترا

ثم تفرّست فى الرجل أريد كُنهَه وحقيقتَه فاذا له نفسٌ مفتوحةٌ مقفلة معاً كغُرَف الدار الواحدة يُفتح بعضُها لما فيه كيما يُرى ، ويُقفل بعضها على ما فيه كيلا يُرى . وله وجه عمل يكاد يحاسبك على نظراتك إليه ، تدور فى هذا الوجه عينانِ قد اعتادتا وزْن الأشياء والمعانى ، يتلألأ فى هاتين العينين شعاعُ النفس القوية المرنّة قد نفَت الثقةُ بها نصفَ هموم الحياة عن صاحبها ، تُمِدُّ هذه النفسَ طبيعةٌ مؤمنة بأن أكبر مرورها فى أعمالها ، فواجبها فى الحياة أن تعمل كل ما يَحسنُ بها وكل ما يَحسنُ منها

لقد خُيل الىَّ وأنا أنظر الى نفسية هذا الانجليزى أن كلمة الخيْبَة عند هؤلاء الانجليز غير كلمة الخيبة عندنا نحن الشرقيين ، فان خيبة النفس لا تتم معانيها أبداً فى النفس العاملة الدائبة التى يشعرها الواجب أنه شىء إلهى لا يخيب ، وأن ما يرفض على هذه الأرض من العمل الطيب لا يرفض فى السماء

وكأن الرجل قد أدرك غرضى بملكته الصحافية الدقيقة فأجابنى عن السؤال الذى لم أسأله وقال لى مبتدئاً : إن أساسنا الشخصية وحاسة الواجب ؛ وإن فيكم أنتم كل شىء إلا هذين . فأخلاقنا تظهر دائماً فى العمل ، وأخلاقكم تظهر دائماً فى الكلام الفارغ ؛ ونحن نطلب الحقيقة وأنتم تطلبون الألفاظ ، حتى إنه لو خسر المصرى ألف دينار ثم أعلن أنها مائة فقط وصدق الناس أنها مائة ، لكان عند نفسه كأنه ربح تسعمائة . . . .

* * *

قال صاحب السر : واستأذنت له على الباشا فسهّل ورحب ؛ ثم هممتُ بالانصراف عنهما ولكن الانجليزى قال : يا باشا ! إنه قد تمكن فى روعى أن صاحب سرك هذا متعصب دينى ، وقد علمت أنه ابن فلان القاضى الشرعى فطربوشه ابن العمامة ؛ ولقد كان ينظر إلىّ وكأنه يتأمل من أين يذبحنى . . .

فضحك الباشا وقال لى : يا فلان ! إن هذا الكاتب من تلاميذ برنارد شو ، فهو كأستاذه يجعل لكل حقيقة ذَنَبا كذيل

الهرّ ثم يمسكها منه فاذا هى تعضّ وتتلوى . . .

والتفت بعد ذلك إلى الانجليزى ثم قال له : جاءنى كتابك فاذا كنت تريد رأيى فيما تسميه التعصب الدينى عند المسلمين فعجيبٌ أن تضعوا أنتم النقطة ثم تسألونا نحن فيها . إنك لتعلم أن هذا التعصب الكذبَ الذى أكثرتم الكلام فيه إنما هو لفظ من ألفاظ السياسة الأوربية أرسلتموه الينا ليقاتل لفظ التعصب الحقيق ؛ ومن قبل هذا اخترعتم لفظة (الأقليات) وأجريتموها فى لغتكم السياسية لتجعلوا بها لتعصبنا الوطنى شكلا آخر غير شكله فتفسدوه علينا بهذه المادة المفسدة ؛ وبذلك تضربون اليد اليمنى من غير أن تلمسوها إذ تضربونها بشل اليد اليسرى

إن الاسلام فى نفسه عدوّ شديد على التعصب الذى تفهمونه ، فهو يقول لأهله فى كتابه العزيز : « كونوا قوامين بالقسط شُهداءَ لله ولو على أنفسكم أو الوالدَين والأقربين »

فاذا كان العدل فى هذا الدين عدلاً صارماً وحقا محضا لا يميز بشىء ألبتة ، لا ذاتَ النفس التى فيها اشتهاءُ الدم ، ولا أصلَها من الأبوين اللذين جاءت منهما وراثة الدم ، ولا أطرافَها من الأقربين الذين يلتفّون حول نَسَب الدم — إذا كان هذا فأين فى هذا العدل محل الظلم ؟

لعلك تشير إلى هذه الرعونة التى تعرفها فى الأغمار والأغفال من العامة ، فهذه ليست من أثر الدين بل هى أثر الجهل بالدين . إن هذا ليس تعصباً بل هو معنى من معانى الحَمِيَّة النفسية الحمقاء لم تجدوا أنتم له لفظاً ، وكان أقرب الألفاظ اليه عندكم هو التعصب فأطلقتموه عليه للمعنى الذى فى نفسه والمعنى الذى فى أنفسكم . ألا فاعلم أن إسلام العامة اليوم هو كالدعوى المقبولة شكلا والمرفوضة بعد ذلك

قال الانجليزى : ولكن لهؤلاء العامة علماء دينيين يدبّرونهم من ورائهم وهم عندكم ورثة النبى (ص) أى منبع الفكرة وقوتها

قال الباشا : غير أن هؤلاء قد أصبحوا كلهم أو أكثرهم لا يندسّ فيهم عرقٌ من تلك الوراثة ، وذلك هو الذى بلغ بنا ما ترى . فالقوم إلا قليلاً منهم كالأسلاك الكهربائية المعطلة لا فيها سلبٌ ولا إيجاب ؛ ولو أن هؤلاء العلماء كانت فيهم كهرباء النبوة لكهربوا الأمم الاسلامية فى أقطارها المختلفة . إذن لقام فى وجه الاستعمار الأوربى أربعمائة مليون مسلم جلد صارم شديد متظاهرين متعاونين قد أعدوا كل ما استطاعوا من قوة العلم وقوة النفس ، وهم لو قذف كل منهم بحجرين لردموا البحر . . .

أتريد معنى التعصب فى الاسلام ؟ إنه بعينه كتعصب كل إنجليزى للأسطول ، فهو تشابك المسلمين فى أرجاء الأرض قاطبة وأخذهم بأسباب القوة الى آخر الاستطاعة لدفع ظلم القوة بآخر ما فى الاستطاعة

وهو بذلك يعمل عملين : استكمال الوجود الاسلامى والدفاع عن كماله

وإذا أنت ترجمتَ هذا إلى معناه السياسى كان معناه إصرار جميع المسلمين على نوع الحياة وكرامتها لا على استمرار الحياة ووجودها فقط . وذلك هو مبدؤكم أنتم أيها الانجليز لا تقبلون إلا حياة السيادة والحكم والحرية فأنتم مسلمون فى هذا المبدأ لو عدلتم

أليس من البلاء أن المسلمين اليوم لا يدرس بعضهم بلاد بعض إلا على الخريطة . . . مع أن الحج لم يُشرع فى دينهم إلا لتعويدهم دراسةَ الأرض فى الأرض نفسها لا فى الورق ، ثم ليكون من مبادئهم العملية أن العالم مفتوح لا مقفل ؟

إن التعصب فى حقيقته هو إعلان الأمة أنها فى طاعة الشريعة الكاملة ، وأن لها الروح الحادة لا البليدة ، وأن أساسها فى السياسة الاحترام الذاتى لا تقبل غيره ، وأن أفكارها الاجتماعية حقائق ثابتة لا أشكال نظرية ، وأن مبدأها هو الحق ولا شىء غير الحق ، وأن قاعدتها « لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » فالهداية أولاً والهداية أخيراً : الهداية فى القوة والهداية فى السياسة والهداية فى الاجتماع . فقل لى بحياتك وحياة انجلترا : أيعاب ذلك على المسلمين إلا بالألفاظ التى يعيب اللص بها أهل الدار لأنهم يحكمون فى وجهه إقفال الباب . . . ؟

قال : فوجم الانجليزى حتى ذهل عن نفسه وصاح :

إذا كان هذا فلنتعصّب فلنتعصب

(سيدى بشر . اسكندرية)

مصطفى صادق الرافعى